الجزء الأول

* دولة الإرهاب

الفصل الاول

جماعة الإرهاب

مع نهاية الأربعينيات من القرن الماضي بدأت حكومات مصر في ذلك الوقت تدرك أن الجماعة التي ظهرت باسم الدين تحت مسمى الإخوان المسلمين ليست جماعة دعوية وإنما هي جماعة سياسية هدفها الأساسي الحكم والدخول في متاهات السياسة والسيطرة على مقاليد الأمور، بل أكثر من ذلك أنها استخدمت القوة والبطش والإرهاب تحت مسميات عديدة.. أعداء الدين مرة، الحكام الكفرة، إقامة شرع الله، وكلها ألفاظ مطاطية خدعوا بها الشباب الذى جرى وراءهم ظنا أنه يقيم حدود الله الغائبة، ولا شك أن المناخ في ذلك الوقت لعب دورًا كبيرًا، فقد كانت الظروف مهيأة لنشأة الإرهاب والتطرف حيث الحرب العالمية الثانية التي تجتاح العالم والتي تسببت في فقر وبطالة ليس في مصر فقط بل في العالم كله، كابوس الاحتلال الإنجليزى الجاثم على صدر الوطن، أوضاع اجتماعية غير عادلة بين فئات الشعب المختلفة.

كل ذلك ساعد على انضمام الكثير من الشباب لجماعة ادعت أنها تدعو للدين والرحمة والإخاء وهي أبعد ما تكون عن ذلك، لكن

سرعان ما تكشفت الحقائق بقتل الخازندار وأحمد ماهر والنقراشي وتفجيرات في المحلات العامة وقتل للأبرياء ومحاولات اغتيالات عدة، كل ذلك جعل هناك شعور بأن الجماعة التي ظهرت ما هي إلا جماعة إرهابية تريد فرض نفسها بالقوة والبطش تحت مزاعم تطبيق شرع الله مع أن الإسلام هو دين الرحمة والمغفرة والتسامح.

لذلك جاء قرار حل الجماعة واعتقال قياداتها، واستمر الوضع على ما هو عليه حتى بعد مقتل حسن البنا مرشدهم، ورغم أن حكومة الوفد أفرجت عن الكثير منهم لكن الصورة الذهنية للجماعة تغيرت تمامًا وأصبحت تصنف على أنها جماعة إرهابية، لتأتى ثورة ١٩٥٢ وكان من بين ضباطها عناصر تدين بالولاء للإخوان، ونجحوا في إقناع عبد الناصر ورفاقه بفك الحصار عن الإخوان، وضرورة تواجدهم لدعم الثورة والضباط، وبالطبع أي ثورة في البداية تحتاج إلى التفاف الجميع حولها، فكانت الموافقة ظنا أن صفحة جديدة ستكتب وعهدًا جديدًا للجماعة سيبدأ، لكن الواضح أن الجماعة لم تكن تخضع لأهواء شخص أو تصور مرشد، فحسن البنا الذى زرع بذرة الإرهاب وجد من يرويها ويسقيها ويحميها ويدافع عنها ويحصدها بل وينثر بذورها في كافة بقاع الوطن، حيث بدأت الطلبات والإملاءات والشروط على رجال الثورة، فكان الجواب بالرفض من عبد االناصر لعدة أسباب؛ أولها أن رجال الثورة رفضوا أن يكون لهم شركاء في الحكم أو أوصياء

عليهم وإنما كانوا يبحثون فقط عن الدعم فوجدوا أن هناك من يطلب الحكم مقابل الدعم وهو أشبه بالنفط مقابل الغذاء، أضف إلى ذلك أن نوايا الإخوان العدوانية بدأت تظهر وتحاول استغلال البعض لإحداث فتنة داخل الجيش، وظهر ذلك في أزمة مارس ١٩٥٤ ثم محاولة اغتيال عبد الناصر.

كل ذلك سرد تاريخي، لكن الواقع يشير بأن عبد الناصر بعد أن أدرك أبعاد مخططات الإخوان وإرهابهم بدأ يتعامل معهم على أنهم جماعة إرهابية، فكانت الإعدامات والملاحقات والمتابعات والسجون وكلها أمور تهدف في المقام الأول لحماية دولة تريد أن تبني نفسها، وطن يرفض الدخول تحت حكم الميليشيات، ولعل قصة وجود أحد محاولي اغتيال عبد الناصر عام ١٩٥٤ ضمن السكرتارية الخاصة به توضح إلى أي مدى أن الثورة ورجالها لم يكن هدفهم تصفية الإخوان أو التنكيل بهم بقدر القضاء على الإرهابيين، حيث اكتشف عبد الناصر أن المتهمين الثالث والرابع المحكوم عليهما بالإعدام كانا من الفدائيين وليس لهما صلة بالإخوان وإنما تعرضا لخدعة من الجماعة بأن عبد الناصر عميل للإنجليز، وعلى هذا اشتركا في محاولة اغتياله، وجاء قرار عبد الناصر الرائع بالعفو عنهما ليؤكد أنه لم يكن يحمل ضغائن شخصية أو ميول عدوانية لأي فرد اختلف معه بل تعامل بمنهج

أساسي في الإسلام بالعفو والتسامح، منهج أدركه ناصر ولم تعرفه جماعة الإرهاب والتطرف.

لكن هل كان ناصر محقًا بعد ذلك في الإفراج عنهم في الستينات وعودتهم للساحة السياسية مرة أخرة؟ ثم اكتشافه أنهم يخططون لاغتياله من جديد.. بالتأكيد أخطأ ناصر ورفاقه في ذلك لأنهم أعادوا للحياة من جديد روافد كادت تنقطع، أوصلوا خيوطًا على وشك التمزق والانتهاء، أقاموا جسورًا قديمة كانت على حافة الانهيار.

وبنفس الأسلوب الذي حدث في الستينات فعل الرئيس السادات ثم الرئيس مبارك وحتى بعد ٢٥ يناير٢٠١١ هناك من ظن أن الإخوان هم الحل ليكتشفوا الحقائق المرة بتفجيرات سيناء والعبوات الناسفة في كل ميادين مصر وقتل الضباط والأبرياء وحرق في المنشآت وتدمير في المؤسسات طالت مساجد المسلمين وكنائس الأقباط فلم يسلم أحد من إرهابهم، فأصبحنا أمام جماعة إرهابية لا تعرف معنى الحكم الرشيد ولا المنهج العلمى في الحوار، وجدناهم يعتدون على زملائهم في البرلمان مثل ما حدث مع أبو العز الحريرى - رحمة الله عليه – النائب اليساري وهو على مشارف السبعين بقيام مليشياتهم بالاعتداء عليه داخل سيارته ومعه زوجته لمجرد خلافه في الرأي معهم فلم يسلم الرجال ولا النساء من إيذائهم، حاصروا مدينة الإنتاج الإعلامى وحاولوا الفتك

بمن فيها تحت زعم مواجهة أعداء الله والدين وشياطين الإعلام وكان هناك ملائكة للإعلام مؤيدون لهم.

هكذا الجماعة إرهابية في كل شيء، في السياسة اغتالوا كل من تصدى لهم وفشلوا في مواجهته، في الإعلام أرادوا إسكات الأصوات ومحوها بالقوة، تحت قبة البرلمان لا صوت يعلو فوق صوت المرشد وأتباعه ورجاله وغير مسموح لغير ذلك، وهكذا ديمقراطيتهم في إرهابهم للآخرين وحريتهم في القضاء على معارضيهم وقوتهم في استخدام أبشع أنواع التنكيل.. جماعة الإرهاب عنوانها والقتل منهجها والتلاعب بالدين سياستها، وأمام كل ذلك تجد على مدار سنوات طويلة أيادي تصفح ونوافذ تفتح وطرق تمهد لهم للعودة من جديد.

أنه التخلف في المواجهة فقد أعطى حكامنا السابقون أسلحة العودة لهؤلاء من خلال قصص وأكاذيب وهمية اخترعوها منها أن محاولة اغتيال عبد الناصر تمثيلية، ولمَ لا وهو الذي أفرج عنهم؟ وبالطبع عند ذكر هذه الحكايات والشائعات ستجد من يصدقها ويروج لها متجاهلا أن الرجل أراد العفو والتسامح عن جريمة في حقه لكنه أخطأ الطريق.

فما فعله هؤلاء كانت جرائم في حق الوطن، كوارث كادت تعصف بأمة، مصائب نال منها الكثيرين أذى بلا سبب أو مبرر.

الكارثة أن ناصر لم يخطئ وحده وإنما توالت الأخطاء من حكامنا، وكان هناك شيطان يهمس لهم بالتعاون مع جماعة الإرهاب، فالسادات الداهية السياسية أعادهم للحياة وأفرج عنهم في مشهد مثير وبحوار مع مرشدهم عمر التلمساني، حيث عادت جماعة الإخوان لتشكل ميليشيات من الجماعة الإسلامية والجهاد والتكفير والهجرة والفنية العسكرية كلها خرجت من عباءة الإخوان، وأتذكر أن أحد قيادات الفنية العسكرية ذكر لي أنه تم تجنيده في منزل زينب الغزالي وأن جماعة الإخوان وما حدث لهم من إعدامات واعتقالات كان سببًا في رغبتهم في التخلص من السلطة القائم على رأسها السادات، والغريب أن نفس القيادي ذكر لي أنه أدرك بعد ذلك خطأه الفادح وأن السادات كان أعظم من تعامل مع التيارات الإسلامية.

وجاء مبارك بعد أن اغتيل السادات على يد من أفرج عنهم ليفتح لهم الطريق هو الآخر ويتعامل معهم بأسلوب الشد والجذب والترهيب والترغيب، ثم وصل لحد المهادنة والاتفاق معهم على تمثيل برلمانى بلغ الذروة عام ٢٠٠٥ بدخول ٨٨ نائبًا من جماعة الإخوان تحت قبة البرلمان. أي هزل أصبحنا فيه؟ تركوا المفكرين والعلماء والأدباء ورجال الفكر والسياسة وأساتذة الجامعة، وبدلا من أن يستعينوا بهم سمحوا بدخول الجهل والتخلف والإرهاب لمجلس الشعب وقتها لكي يبث هؤلاء سمومهم وينشروا آراءهم

وأفكارهم ويدخلوا في مفاصل دولة فقدت بوصلتها ورؤيتها في مواجهة إرهاب حقيقى بدأ يرفرف ويزدهر وتتفتح أزهاره في ربوع وطن أصبح مليئا بنباتات الشوك الإرهابية بعد أن كان مغطى بورود المفكرين وأزهار الأدباء ورياحين الشعراء القمم لنجد أدعياء الدين الجهلة والفشلة والمتطرفين، والأغرب أن تفتح لهم القنوات وتترك لهم المساحات، وأبلغ دليل على ذلك صفوت حجازى الذى كان يعرض له في التليفزيون برامج شبه يومية وندوات في كل مكان.

مصر بلد الأزهر والشيوخ الأجلاء والعلماء أصبح المتطرفون والفاشلون والمدعون أصحاب مكانة وكل ذلك برعاية حكومات ودولة ظنت أنها تواجه الإرهاب باللين فكانت النتيجة أنها أصبحت ترعى هذا الإرهاب وتساند فيه دون أن تدرى أنها فتحت أبوابها على مصراعيها لدخوله.

الفصل الثاني

مواجهات خاطئة

انتشار الإرهاب وعكس تصور البعض لا يأتي نتيجة مناخ معين اقتصادي وسياسي واجتماعي فحسب، بل يساعد على انتشاره بعض المواجهات الخاطئة التي نقوم بها نحو جماعة التطرف والإرهاب، وبنظرة سريعة على تاريخ مصر الحديث أن أحد أسباب بزوغ فجر الإرهاب هو عدم التعامل الصحيح والحاسم مع جماعات الإرهاب.

والمؤسف أن البعض عقد الصفقات معهم وأقام العلاقات وفتح أبواب اللقاءات وأدار الحوارات معهم، وأذكر أن الوثائق الرسمية أكدت أن مؤسس جماعة الإخوان حسن البنا في الأربعينيات من القرن الماضي تقابل مع العديد من المسئولين سواء في الوزارات المختلفة والمتعاقبة ومع كبار القيادات بالقصر الملكى، ومعظمهم كانوا يخطبون ود الجماعة وينتظرون البركة منه وكأنه واحد من أولياء الله الصالحين، ولم يفطن هؤلاء لأن مقابلاتهم وحواراتهم أعطت له شرعية وأوجدت للجماعة مكانة داخل المجتمع وجعلتهم سريعًا يفكرون في الترشح للانتخابات وتولي السلطة والمشاركة فيها، ولما حاول البعض التصدي لهم كانت

الاغتيالات التي تهدف لتهديد أي فرد يفكر في الوقوف أمامهم أو مواجهة الجماعة.. رفضهم أحمد ماهر فقتلوه، وتصدى لهم النقراشى فاغتالوه، وفهمهم النحاس فحاولوا التخلص منه.. لم يتركوا مكانا إلا أشاعوا فيه الخوف والرهبة.. استغلوا مناخًا مرتبكا وأوضاعًا سياسية سيئة واحتلالا بغيضًا تحت عباءته حاولوا تبرير كل شيء.. فهم يقتلون لطرد الإنجليز ويغتالون عملاءهم ويتخلصون من رجالهم.. أكاذيب وحجج واهية حاولوا إقناع الرأي العام بها فلم يعرف أحد أن أحمد باشا ماهر كان عميلا أو النقراشي خائنا، كما أن تاريخ النحاس كان يؤكد أنه رجل وطني من الطراز الأول.

هكذا أخطأت قيادات الأربعينيات عندما تعاملوا مع جماعة الإرهاب بفتح نوافذ الحوار وأحيانا التقرب إليهم بهدف الخلاص من منافسيهم دون إدراك أن العصا التي يستخدمونها ستكون أحد أدوات ضربهم في المستقبل.

وبنفس النظرة الضيقة جاء الرئيس السادات ليستخدم هؤلاء في مطلع السبعينات من القرن الماضي وهم القابعون في السجون حيث أفرج عنهم وفتح لهم الأبواب وأجرى معهم الحوارات اعتقادًا منه أنهم سيكونون في ظهره أمام اليساريين الذين ظن أنهم تغلغلوا في مفاصل الدولة، وكان لا بد من إيجاد تنظيم بديل يواجههم، فكانت الرغبة في عودة الجماعة اعتقادًا أن لديهم قدرة المواجهة والقضاء على اليسار من خلال الدين، لكن السادات أدرك

أنه ارتكب خطأ فكان قراره بعودة الأحزاب، فأنشأ حزبًا جديدًا ليكون تنظيم الدولة وهو الحزب الوطني، فكانت النتيجة تحالف اليمين الديني واليسار معا ضده، بمعنى أن السادات بدلا من أن يقضي على اليسار فإنه وحد الجبهات في مواجهته لتصل الذروة في سبتمبر ١٩٨١ وتنتهى بقيام جماعات الإرهاب باغتياله والقضاء عليه، مع أنه هو الذى أطلق سراحهم وأعطى مساحة كبيرة للحريات في عهده.

وكان أكبر خطأ للرئيس السادات أنه لم يحاول الاستعانة بمفكري ورموز اليسار الحقيقيين في بناء دولة حديثة مثل الدكتور/ إسماعيل صبري عبد الله، فؤاد مرسي، لطفي الخولي وغيرهم من الرجال الوطنيين المخلصيين مثل الدكتور/ محمود القاضي، فوضع الجميع في سلة واحدة وتعامل مع الأمر بشكل واضح وهدف أساسي وهو القضاء على اليسار والناصريين، ولعل ميله الفطري للتدين جعله ينحاز للجماعة ظنا أن بداية جديدة لها ستبدأ بتدين معتدل ومساندة حقيقية له، بينما التاريخ يؤكد أن الإرهاب لا يمكن أن يعدل عن طريقه أو يغير أفكاره ومبادئه، بل والمضحك أن جماعة الإخوان التي اكتشف الجميع في الأربعينيات أن لها تنظيمًا سريًا مسلحًا أصبح لديها في السبعينات عشرات التنظيمات المتطرفة السرية والمسلحة والإرهابية انتشرت في الصعيد والمدن المختلفة وزرعت العشوائيات ونمت في الزراعات، وزاد الأمر سوءًا أن الرئيس السابق مبارك فتح حوارًا مع الإخوان

بعد اغتيال السادات بعد أن أقنعه بعض من حوله أنهم جماعة معتدلة وليست مسلحة وتستطيع احتواء الجماعات المتطرفة الأخرى، ليأتي محمد البلتاجي القيادي الإخواني البارز المعروف عام ٢٠١٣ على مرأى ومسمع من العالم كله، ويثبت للجميع أن الإخوان مصدر الإرهاب، فبعد انحياز الجيش للشعب وإعلان بيان ثورة ٣٠ يونيو وخلع محمد مرسي أحد قياداتهم من كرسي الحكم أعلن البلتاجي أن كل ما يحدث في سيناء من قتل وتفجير واغتيالات وإرهاب يتوقف إذا أعادوا مرسي وبدون ذلك سيستمر الأمر، اعتراف رسمي واضح وصريح أنهم مصدر الإرهاب ومنبعه ومحركه.

هذه قضية أصبح لا خلاف ولا جدال فيها، لكن الأهم أن تصريحات البلتاجي أكدت أن كل ما قامت به الحكومات قبل ثورة ١٩٥٢ وحتى ٣٠ يوينو كانت معالجات خاطئة تسببت في كوارث باحتضان الإرهابيين وفتح حوارات معهم ومد الأيادي لهم.

ومن الغريب أن نفس الفكر والرأي بشأن فتح الحوارات معهم يعود ليحدثنا عنه البعض ويسوق لنا نفس المبررات التي قالتها من قبل حكومات وشخصيات ورجال اعتقدوا أنهم سيقضون على الإرهاب باحتضانه، مع أن التاريخ أكد أن الجماعة لم تقف إلا مع الإرهاب ولم تتوقف عنه لحظة، فتنظيمات القاعدة وداعش خرجا من عباءة الإخوان، ولعل في وجود أيمن الظواهري زعيم القاعدة وهو واحد من كوادر الإخوان أكبر دليل على ذلك.

جرائمنا في معالجة الإرهاب لم تتوقف عند احتضان الإخوان، بل الأخطر أننا سمحنا لهم عند غزو روسيا لأفغانستان بالسفر للخارج لكي يجدوا أيادي المخابرات الأمريكية والغرب تمتد لهم لتشكل منهم جماعات تعمل لصالحها ودربتهم على أعلى مستوى لدرجة أن جماعة الإخوان أصبح لديها جهاز أمني له قادته يعرف جيدًا كيفية التعامل مع مختلف الأجهزة الأمنية. ولمَ لا؟ وهم الذين أرادوا تعيين البلتاجي رئيسا لجهاز المخابرات العامة ثم فشلوا، ولما فشلوا طلبوا تعيينه رئيسًا لجهاز أمن الدولة، ثم قاموا بحله واستبعدوا منه أفضل العناصر وذلك بتعليمات من الجماعة، وبعد دراسة من البلتاجي نفسه والذي مارس دور وزير الداخلية في الإقصاء والاختيار.

أخيرًا فإن أكبر الكوارث التي قامت بها الدولة السماح لهم بدخول البرلمان، فوجود ٨٨ نائبًا عام ٢٠٠٥ يعني تحرك هؤلاء من خلال حصانة في كافة ربوع الوطن وداخل المؤسسات المختلفة والمصالح الحكومية والشركات والقطاعات العديدة، أصبحوا في المصنع والمسجد معًا، داخل الكلية والمدرسة، دخلوا مؤسسات الكهرباء والمياه وشركات البترول، زحفوا لكل القطاعات، ولمَ لا؟ بعد أن أصبح هناك اعتراف من الدولة بهم، سافروا للخارج وتعاملوا مع رؤساء دول وأقاموا العلاقات، ونحن نظن أننا نحتوى الإرهاب بينما هم ينسقون معه ويقيمون العلاقات بكل التنظيمات الإرهابية بدعم قوي حصلوا عليه من الدولة عندما أصبحوا نوابًا

فتحولوا من جماعة كانت إرهابية إلى شرعية، من محظورة لمقبولة، من جماعة محلية داخلية إلى دولية وعالمية ورسمية.

هكذا واصلنا ارتكاب الأخطاء والحماقات بلا دراية أو وعي، لذلك كان طبيعيًا عندما يقوم أحمد عز بمحاولة إبعادهم عن كراسي البرلمان أن يعلن الإخوان الانسحاب من الانتخابات ويسارعون بالاتصال بالخارج، فقد أدركوا أن هناك من يريد سحب الغطاء الرسمي منهم، وللأسف فإن أحمد عز فعل ذلك بهدف إيجاد مجلس وتربة خصبة للتوريث دون معرفته بعواقب ما يحدث، مع أن هؤلاء الإرهابيين كانوا مستعدين للعمل مع جمال مبارك لو جاء للحكم، حيث كانوا ينظرون للأمر من بعد آخر وهو إيجاد حاكم مدنى لإبعاد العسكريين عن طريق الحكم لكي تفتح لهم الأبواب بعد ذلك وتمهد الطرق للاستيلاء عليه وهو السيناريو الذي حدث في أعقاب ٢٥ يناير ٢٠١١.

أخطاء ارتكبتها النظم السابقة وعلينا أن ندرك أن العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية ليست دائما أحد أسباب انتشار الإرهاب، فأخطاؤنا أحيانا التي نفعلها ونرتكبها ظنا منا أنها ستقودنا للقضاء على الإرهاب ربما تكون هي التي تحييه وتعيده من جديد وتساعد على انتشاره.

الفصل الثالث

التعليم وإرهاب الفكر

ليس مصادفة أن يكون مرشد جماعة الإخوان حسن البنا مدرسًا، فمهنة المعلم يفترض أنها من أنبل المهن وأطهرها وكانت ولا تزال تلعب دورًا مؤثرًا في تكوين الأجيال. وقد كنا في الماضي نتأثر تأثرا شديدًا بالمدرس فهو الموجه والمعلم والمفكر بالنسبة لنا، وأي حديث له يعنى الصدق ويجب أن يؤخذ بمحمل الجدية، لذلك كان لعمل حسن البنا أثر بالغ وشديد في نشر أفكاره، حيث أصبحت المدرسة أخطر من المسجد فهي محور أداء الإنسان وتكوين آرائه وأفكاره وتطوير أدائه، هكذا استغل المرشد مكانة ومنزلة المعلم لبدء نشر دعوته، لم يفطن الكثيرون وقتها لها وتركوا الأمر حتى وصلنا إلى ما نحن فيه الآن.

وإذا كانت بعض المهن يتم لها كشف هيئة ويحجب بعض المتقدمين عنها لأسباب معينة فإن الأمر نفسه ينبغى تطبيقه في مهنة التدريس، حيث كانت البداية بتجنيد بعض المدرسين والمعلمين الذين لعبوا بعقول الصغار والكبار، فدخلوا كافة ربوع الوطن وزيفوا الحقائق وقلبوا التاريخ واستغلوا انتشار الجهل في مصر وشبه الأمية في الاستيلاء على العقول الخاوية بفكر ضال،

وأصبحنا نرى متعلمين جهلاء في الفكر وفاقدي الرؤية للتاريخ بفعل مدرسين انتموا لجماعة نشرت الجهل والعنف والتطرف تحت شعار الدين بدعوة إقامة حكم الله والعودة للدين الصحيح والإسلام منهم براء، فلم يكن الإسلام في أي يوم دين عنف أو قتل أو إرهاب، بل دين الرحمة والمغفرة والعفو والتسامح.

ولعل من أخطر الأمور التي لم تجد رعاية أو اهتمامًا من الدولة عبر سنين طويلة الاهتمام بالمعلم، وتركوا الأمر سداح مداح لكل من هب ودب ليلعب في عقول النشء، فتحركت جماعات الإرهاب ودفعوا بعناصرهم وكوادرهم إلى مصاف المعلمين جعلوهم يتحركون في كل ميادين العلم، الابتدائي والإعدادي والثانوي حتى التعليم الفني أقحموا أنفسهم فيه، بل وصل الأمر إلى الحضانات التي تشكل العبء الأكبر.

ركزت الدولة على محاصرة الجماعة والتيار السلفى في الزوايا والمساجد وتركت ساحات العلم وهى الأهم، حتى المساجد استطاع الإخوان نقل دروسهم داخل المنازل والبيوت بدعوى تحفيظ القرآن بينما هم يبثون سمومهم خلال الدروس، أساليب عديدة ومتنوعة لعب بها الإرهاب، فتحركوا في ظل غفلة من الدولة واعتقاد خاطئ أنهم مسيطرون على الجماعة بمراقبة قيادتهم ومرشدهم بينما الحقيقة أن الكوادر انتشرت وتفرعت وأصبحت ممتدة من أقصى الصعيد في أسوان وحتى الإسكندرية والسلوم.

والأفكار التي كانت تبدو أنها غير منطقية ومرفوض حتى مناقشتها مثل الادعاء بأن محاولة اغتيال عبد الناصر مجرد تمثيلية كاد يصل لمرحلة التصديق في مرحلة من المراحل بعد أن هيمن الإخوان على الأمور وأصبح لديهم كوادر في كل مكان في المصانع والشركات والمؤسسات بفضل معلميهم الذين انتشروا في أرجاء المدارس وجندوا الشباب وأعطوا لهم أفكار الجماعة، فأصبحت مثل الوباء الذى انتشر في كافة أرجاء البلاد، فيبث السموم قبل الأفكار ويعرض الشائعات على أنها حقائق والدولة في سبات عميق لا تفعل إلا المواجهات الأمنية والتي تعامل معها الإخوان أيضا بدهاء.

وفي ظل ذلك أصبح للإخوان ٨٨ نائبًا ونقابات سيطروا عليها ولجان تحكموا فيها ومدارس أصبحوا مالكيها ومؤسسات اقتصادية تحقق الملايين، دولة داخل الدولة، دولة إرهابية تتحكم في مفاتيح دولة إسلامية بالفطرة، تحاول جرها وسحبها للدخول في مستنقع هوت فيه كثير من الدول مثل أفغانستان والعراق، وكان المخطط الرهيب في إمارة سيناء التي كانت ستكون كارثة تحل على مصر بانتزاع جزء عزيز من بلادنا فشل أعداء الأمة والغرب في الاستيلاء عليه فجاء الإرهاب ليتمكن منه، ولكن جنود مصر البواسل تصدوا للمخطط الذى دمر بفعل ضرباتهم الساحقة، لكن هذه الضربات لم تفسد المخطط الفكري، فالتعليم يضم الآلاف من رجالات

المرشد وجماعته ولا يوجد تصحيح للمفاهيم ولا إعداد جيد لمعلم المستقبل الذي يبني أجيالاً تفكر بجدية وموضوعية.

التعليم هو أهم ملف يجب أن نقف عنده ونهتم به إذا أردنا القضاء على الإرهاب وجماعته، فنحن نظن أن الاستعدادات الأمنية والضربات الاستباقية والملاحقات القوية نجاح، وهذا حقيقي في مواجهة الإرهابيين، لكنها لا تقضي على الإرهاب فهي تضرب الأوكار لكن لا توقف العقول.

مواجهة الإرهاب بالفكر والتعليم الصحيح بمحو أمية أجيال، ببناء قاعدة قوية من الفكر المستنير، لقد شاهدت حوارًا في إحدى المحطات التليفزيونية وهو تسجيل قديم يضم كلاً من يوسف إدريس، ويوسف السباعي وعبد الرحمن الشرقاوي، وهم قمم في الفكر من مختلف التيارات، الآن من هم مفكرو العصر ورجالاته الذين يستطيعون إعطاء الأمل وإيقاد شعلة المعرفة من جديد؟

إن مواجهة الإرهاب ليست في السلاح وحده أو تفكيك خلايا الجماعة أو إنهاء التنظيمات الإرهابية مثل داعش والقاعدة، فكل ذلك مطلوب، لكن الأهم القضاء على الفكر الذي دخل بيوتنا وتسلل لها دون محاولة غلق النوافذ التي أصبحت مفتوحة على مصراعيها لدخول مثل هذه الأفكار، نوافذ فتحناها نحن بأموالنا وقدراتنا دون أن نضع أسس دخول هواء نقي نظيف غير محمل بالسموم.

تركنا مدارسنا مفتوحة على مصراعيها لم نضع رقيبًا أو حسيبًا، أين المتابعة التي كانت موجودة في المفتش المشرف على المدارس أو موجه المادة، وكذلك من مسئولي المناطق والإدارات الذين يتابعون العملية التعليمية كل يوم بالمدارس، هؤلاء لم يعد لهم وجود فعال أو دور إيجابى، مجرد أسماء، التعليم المهمل منذ سنوات طويلة علينا أن نعيده بخطوات تصحيح تبدأ من المعلم وهي الخطوة التي أظن أنها البداية لمواجهة الإرهاب، معلم حقيقي يحمل سلاح العلم في مواجهة سلاح الإرهاب.

لقد أصبح لدى مصر الآلاف من المدرسين والخريجين أكثرهم تعرض عبر السنوات لفكر الجماعة سواء بوجود طالب بينهم أو معلم وسطهم دخلوا كي يضعوا بذرة، فهل اقتلعنا بذور الإرهاب أم نحن نروي هذه البذور؟

الحق أن اقتلاعها ينبغي أن يكون نقطة بداية كي لا تستمر رحلة الجماعة المتواصلة والتي لم تنقطع منذ أيام الملك فاروق وحتى الآن، وسر استمرارها وبقائها ليس في صلابتها أو قوتها وإنما في وجود مدارسنا التي سكن فيها رجال الجماعة وأخرجوا منها الآلاف من الشباب المضلل تحت عباءة فكر الجماعة، وأستطيع أن أؤكد أننا لو نجحنا في إيقافهم والحد من دخولهم دور العلم خلال سنوات قليلة لن يكون هناك أي آثر لجماعة أو أفكار إرهابية،

وعلينا أن نتذكر أن المعلم أخطر في مسئوليته من مهن كثيرة يتم لها كشف هيئة.

فلتكن بداياتنا التدقيق وحسن اختيار المعلم لأجيال المستقبل، فإذا كنا ندقق ونمحص في اختيار ضابط الشرطة الذي يحمي الشعب من المجرمين، ألا ندقق في من سيحمينا من أفكار الإرهابيين؟ فالمعلم الذي سيضع أفكارا وينير عقولا لأجيال قادمة.

نحن في أمس الحاجة لرؤية وحماية أجيال من خطر داهم قد يحيط بهم إذا تركنا الأمور لأبناء الإرهاب يعبثون بنا فكانت التيارات الهدامة والمتطرفة والأفكار المضللة والتي حان الوقت لكي نقتلعها من جذورها.

الفصل الرابع

غياب المعلومات

من أكثر الكوارث التي حلت على مصر أن هناك فصيلا يضع المعلومات في الأدراج ويخفيها ويظن أنها ملكية خاصة له، سر من الأسرار الحربية، لا ينبغى أن يبوح به أو يتحدث عنه تاركا العامة يخمنون ويظنون كيفما شاءوا لأمور ليس لهم علاقة بها، وهكذا أصبح أبناء الوطن حائرين في شائعات تقال على أنها معلومات بينما الحقيقة أن درج المعلومات الأكيدة مغلق لا يريد البعض أن يفتحه، ونتيجة لذلك ضاعت الحقائق واختفت المعلومات وظهرت على السطح فئة الأدعياء ومروجي الشائعات واستغلوا مناخا معينا وترويجًا إعلاميا كاذبا لهم، فأصبحوا نجوم الفتاوى ومشاهير مثل فناني السينما، فوجدنا الإرهابي صفوت حجازي والذي قال بالحرف الواحد "من يقترب من الرئيس مرسي نرشه بالدم"، وهو الذي أطلق عليه داعية ويفترض أنه يدعو للحكمة والرحمة ويحافظ على سلامة الوطن ويحمى أبناءه، لكنه تحدث بمفهوم البلطجية والقتلة، ولمَ لا؟ بعد أن أصبح نجمًا..!

قبل ٢٥ يناير ٢٠١١ تحول صفوت حجازي الذي لا نعرف أي معلومات عنه من رجل بسيط إلى داعية ومصلح وإمام وخطيب

وأصبح يطلق الفتاوى وتعقد له الندوات وتقام من أجله الجلسات، بل وتتسابق محطات التليفزيون الرسمية إلى استضافته والاستماع إليه وكأنه عالم جليل، ثم وصلت قمة المأساة إلى عمل برامج له في التليفزيون الرسمي، أي كارثة وضعنا أنفسنا فيها؟ نقدم الجهلاء على أنهم علماء، والعملاء على أنهم أوفياء، لم يتحرك جهاز معلومات واحد ليقول لنا وقتها من هو صفوت حجازي، أحد خلايا الإخوان النائمة والتي دفع بها لمقدمة الصفوف ليكون أحد أذرع الجماعة القوية أيام حكم المرشد دون النظر لتاريخ هؤلاء ودفعوا بهم في كل المواقع ظنا أنهم سيكونون داعمين للدولة دون أن يدركوا أنهم سيظلون أعداءنا، وجدنا منهم من يضع دستور مصر باسم الفقيه الدستوري، آخرين جلسوا في مواقع ليس لهم بها أي صلة، وأتذكر أنني كنت ضيفا في أحد البرامج التليفزيونية وهو برنامج مساحة للرأي وكان يعرض على القناة الثانية، ووجهت لي مقدمة البرنامج سؤالا عن رأيي في معاوني الرئيس مرسي، فكانت الإجابة بهدوء أنه استعان بأهل الثقة وليس الخبرة، بدليل أنه أحضر عصام الحداد معاونا له في الشئون الخارجية وهو ليس له أي علاقة بالخارجية ولم يمارسها باعتباره دكتور تحاليل، وأخرجت سيرة ذاتية له جعلت المذيعة تضحك على الهواء، فكيف لرجل يتولى حقيبة من أهم حقائب الدولة وهى الشئون الخارجية وهو غير ملم بها ولم يدرس قواعد السلك

الدبلوماسي أو أساليبه والعلاقات الدولية والخارجية؟ أفهم أن الجماعة لو استعانت بسفير سابق أو وزير خارجية أسبق كان يمكن أن يكون الأمر مقبولا ولكنه السعي إلى الاستحواذ والأخونة، وللأسف معظمنا وقف موقف المتفرج حتى جاء البرنامج الذى تكشفت فيه الحقائق من خلال عرض موضوعي موثق، فينطلق الجميع بعده ليفتح الصندوق الأسود عن معاوني مرسي وتاريخهم وأوضاعهم، وليؤكد أن غياب المعلومات لعب دورًا أساسيًا في نشر الإرهاب وظهور فئة شيوخ التضليل وعلماء الجهل الذين طفوا على السطح، فأصبحوا نجوم مجتمع بينما الشيوخ الحقيقيون الأجلاء علماء الأزهر يجلسون بعيدًا عن الصورة والمواقع والفضائيات، فهؤلاء الجهلة المتطرفون الإرهابيون وجدوا من يظهرهم ويدفعهم ويقدمهم للعامة في ظل غياب معلومات كاملة عنهم بينما شيوخنا الأفاضل لم يفكر أحد أن يعرض أفكارهم أو يقدمهم بصورة تليق بتاريخهم ومكانتهم.

إن قضية حجب المعلومات تظل من أخطر القضايا وهي أساس نشر الفتن والشائعات وتواجد الإرهاب والإرهابيين، وأظن أن الأوضاع التي مرت علينا لا يجب أن تمر مرور الكرام وعلينا أن ندرك أن الشفافية ونشر الحقائق هي إحدى أسلحة مواجهات الإرهاب والإرهابيين وفضحهم وكشف زيف ادعاءاتهم، ولو أن المعلومات الحقيقية نشرت عن تاريخ صفوت حجازي ومؤهلاته

ودراساته ما كان يمكن لأحد أن يستمع له في قضايا الفتوى ويجعله في منزلة الأئمة ويثق به.

نفس الأمر للعشرات من كوادر الجماعة الإرهابية الذين أصبحوا شيوخ الغفلة، فقد جاءوا في غفلة من الزمن تحت مسمى عباءة الدين، استغلوا بساطة العامة وعدم وجود تيار سياسي قوي يتصدى لأوهامهم وأحلامهم وأفكارهم في السيطرة على عقول هؤلاء البسطاء خاصة بعد أن غابت المعلومات وحجبت الحقائق.

لقد ارتكبت الحكومات السابقة أخطاء فادحة وتسبب البعض فيها دون أن يدري في نمو الإرهاب وظهور الإرهابيين بسبب نقص المعلومات لدى المواطن والذي لو عرف كافة التفاصيل لكان له رؤية أخرى، وأتذكر أنني بعد فضح وضع عصام الحداد بأنه ليس له أي علاقة بالخارجية انقلبت الدنيا عليه وأصبح حديث رجل الشارع عنه أنه موجود لأنه من الجماعة بعد أن كان يقدم على أنه واحد من الخبراء والمتخصصين بالشئون الخارجية وهو دكتور تحاليل ولم يمارس المهنة أيضًا.

هكذا المعلومة تكشف الحقائق وتوضح الصورة، تعيد تصحيح المفاهيم المغلوطة، تنير الطريق أمام كل من يريد المعرفة، لقد تركنا هؤلاء الأدعياء يهاجمون شيوخنا الأجلاء مثل الشيخ الشعراوى فناله ما ناله من تطاول بهدف إبعاد الشباب عن علماء الدين الحنيف المعتدل، ولقد تذكرت كيف فعل الشيخ الشعراوى

بالفنانة الراحلة مريم فخر الدين والتي كانت أبعد ما تكون عن الدين وأرادت أن تصلى وتصوم وتسلك طريق الهداية ولم تكن تحفظ التشهد، فسألت الشيخ الشعراوي عن كيفية الصلاة وهى لا تعرف التشهد، فضحك وقال لها عليك بقراءة الفاتحة بدلا من التشهد حتى تحفظيه، يسر لها الرجل الطريق وفتح الأبواب ومهد الطرق للعودة إلى الله دون مرشد أو جماعة، لم يقف عند وضع معين وإنما استخدم روشتة رسولنا الكريم بأن الدين يسر وليس عسرًا هكذا علماؤنا الإجلاء، فقد فتح الشيخ الشعراوي بعلمه الغزير الطريق لأبواب الهداية والرحمة والاستغفار لعشرات الفنانين والفنانات وبسهولة ويسر وكلهم يمارسون حياتهم الطبيعية والعادية استمدوا معلوماتهم الصحيحة للدين من عالم جليل لم يتاجر بهم أو يستغل وجودهم كنجوم، تعامل معهم كأبناء طلبوا الهدى وسعوا للطريق القويم، داعية رائع مد أياديه للكافة في بساطة وهدوء مؤمنا بأن الإسلام دين الرحمة والمغفرة، فأعطى الثقة والاطمئنان لمن ظنوا أن باب التوبة أغلق فوجدوه مفتوحًا على مصراعيه من خلال فهم صحيح وإدراك واعٍ ومعلومات حقيقية عن الدين الحنيف، لقد استغل الرجل معلوماته الغزيرة والكبيرة عن الدين لكي ينير الطريق لهؤلاء، فهل أنارت حكوماتنا السابقة طريقنا بعرض الحقائق مكتملة في كافة القضايا دون تورية؟ وكشف ملابسات العديد من الوقائع دون خوف.

لذلك فإن جزءًا أساسيًا من انتشار الإرهاب جاء في غياب المعلومات التي أؤكد أن بدونها سنجد أنفسنا فريسة سهلة أمام الجهلاء والأدعياء، ولقد تذكرت أن أحد الأشخاص كان يخرج علينا ويدعي أنه عالم في النباتات ويتحدث عن علاج كل الأمراض من خلال النباتات، وذاع صيته وأصبح من نجوم المجتمع ومحببًا للناس، وفجأة ظهر أحد الأساتذة المتخصصين في برنامج تليفزيوني ليكشف زيف ادعاءاته وأن المتحدث ما هو إلا خريج كلية التربية الرياضية ولا يفهم في النباتات ولايعرف أي شيء عنها وكل ما يتحدث به قد يضر ولا يفيد.

هكذا نعيش الوهم في غياب المعلومات والحقائق، وفي غيابهما ظهر الإرهاب وانتشر بل تألق الإرهابيون وجلسوا بيننا وتحدثوا باسم الدين دون حسيب أو رقيب.

الفصل الخامس

أسلحة المواجهة

هل نستمر في جلد الذات؟ والحديث عن الإرهاب وأسبابه واتهام الحكومات السابقة والرؤساء الراحلين بأنهم سبب من أسباب انتشار الإرهاب وهذا للعلم غير صحيح، فلم يكن ناصر أو السادات ولا مبارك من مؤيديهم أو ناصريهم أو داعميهم، وإنما كل ما فعلوه سواء بالمهادنة أحيانا أو الضرب بيد من حديد كان هدفه حماية الوطن، وسواء أصابوا أو أخطأوا فإنهم فعلوا ما فعلوه اعتقادًا أن ذلك لصالح البلاد والعباد.

والحقيقة أنه سواء الحقبة الناصرية أو الساداتية وكذلك المباركية لم تعرف من أسلحة مواجهة الإرهاب سوى طريق واحد هو المواجهات الأمنية، فعلوا ذلك دون أن يدركوا أن أدوات مواجهة الإرهاب والتطرف مختلفة ومتعددة وتحتاج لجهد وعمل مستمر وتركيز شديد، فالمواجهة الأمنية هى آخر الأسلحة وليست أولها، نهاية الطريق الذي ينبغي أن يسلكه الحاكم وليس بدايته، حيث المؤكد أن هناك العديد من الطرق التي حان الوقت لكي ننطلق منها ونضع الآمال عليها في اقتلاع جذور إرهاب مستمر منذ سنوات طويلة، وأول المشوار الصعب التعليم ببناء جيل واعٍ مدرك لمفاهيم

الدين الصحيح والتربية السليمة، بتأهيل المدرسين البعيدين عن دائرة نشاط الجماعة والتي استطاعت تجنيد الكثير منهم وبث سمومها من خلالهم لنشر الخزعبلات والأفكار الهدامة في جيل لا ذنب له سوى أننا أهملنا ملفه، بمتابعة مستمرة وعمل دؤوب لكي نطمئن أن مدارسنا لم تعد تخرج (إرهابيين محتملين للمستقبل).

طريق صعب وشاق وعلينا أن نتحرك فيه، فليس إصلاح التعليم في المناهج فقط بل المعلم هو الأساس وبدونه ستفقد العملية التعليمية الهدف المرجو منها.

وبنفس الخطوات الصعبة يأتي دور المسجد والمنزل معًا باهتمام الأسرة ورعاية أبنائها وتوفير دعاة على قدر كبير من العلم والمعرفة لكي يعيدوا للشباب مفاهيم الدين الصحيح. دين الرحمة والتسامح والعفو والمغفرة، دين الصفح وليس القتل، دين يحرض على عمل الخير ولا يضع الإرهاب منهجًا، مساجدنا كثيرة في العدد قليلة في الدعاة مليئة بالمصلين بعيدة عن المدركين.

فى رمضان نجد المساجد امتلأت عن آخرها وبدون إدراك تتسابق الزوايا والمساجد في إقامة صلاتي التروايح والقيام بقراءة جزء من القرآن وهو أمر يسبب مشقة للكثير من المصلين، اعتقادًا أن ذلك سنة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، بينما الحقيقة أنه لم يرد عنه صلى الله عليه وسلم أي شيء بشأن قراءة جزء في صلاة التروايح والتطويل فيها، أضف إلى ذلك أن الرسول عليه

الصلاة والسلام كان يصلي أوقاتًا كثيرة بمنزله سواء القيام أو التروايح.

هكذا تركنا المتشددين يتحكمون في مصائرنا وأقدارنا من خلال مساجد وزوايا تركناها للعابثين الذين خلطوا الأوراق وبدلا من أن يفهموا أن طبيعة العصر والظروف الحالية تحتاج إلى رؤية عصرية تخدم المجتمع وتنظم الأمور وتصحح العقول أخذوا في سرد أوضاع لا تلائم طبيعة العصر الحالي بإقامة صلاة بالساعات في مجتمع في أمس حاجة لكل ثانية من العمل للنهوض به والارتقاء بشأنه، مع أن العمل جزء أساسي من العبادات وحثت عليه كل الأديان، اهتمامنا بموائد الرحمن والإسراف فيه وإقامة الولائم ولم نفكر في وضع أسس للأسر في كيفية عمل موائد رمضانية توفر لهم الكثير من خلال أطعمة بسيطة وشعبية، هكذا استغل الإرهاب غياب دور التعليم والأئمة والدعاة في نشر أفكارهم وإثارة المجتمع وبث الأحقاد فيه.

وإذا كان المسجد والمدرسة بداية فإن هناك خطوات أخرى تحتاج منا جهدًا للمواجهة منها الإعلام والذي للأسف لعب دورًا سلبيًا وتأثيرًا عنيفًا في خلق أجيال استمعت للمفاهيم المغلوطة واستجابت لدعاة ليس لهم علاقة بالدين الإسلامي سوى حلو الحديث دون أن يكون لهم فعل حقيقي يعبر عن إسلامهم وتسابق الإعلام في تلميع شخصيات وأسماء على قدر ضئيل من العلم

والمعرفة وقدمهم على أنهم نجوم وجعلهم يناطحون كبار العلماء والشيوخ الحقيقيين دون إدراك ومعرفة أنهم يساعدون على نمو فكر التطرف والبعد عن الدين الصحيح.

هؤلاء تجار الدين كان للإعلام دور أساسي في ظهورهم، وإذا كان التعليم والأزهر أحد أسلحة المواجهة فإن الإعلام المستنير سيلعب دورًا أساسيًا في ذلك من خلال إعادة تصحيح المفاهيم وإبعاد هؤلاء التجار وفتح النوافذ للشيوخ الأجلاء، ولو أن الإعلام مثلا قبل شهر رمضان اهتم بعرض كل ما يهم المسلم خلال الشهر الكريم بوجود هؤلاء الشيوخ لكي يتحدثوا عن صلاة التروايح وكيفيتها وآداب الصيام والأفعال المستحبة لكان أفضل ألف مرة من بقاء الملايين من المصلين بالساعات في المساجد للصلاة دون معرفة بمعاني الآيات الكريمة وأسباب نزولها وتفسيرها، لكننا زرعنا التطرف حتى في أداء العبادات بالصلاة الطويلة الممتدة مع أن رسولنا الكريم لم يذكر ذلك.

يبقى الملف الأمني وهل هو مفيد في المواجهة أم لا؟ وبالتأكيد مفيد لكن ليس في القبض على الشباب غير الواعي وغير المدرك لخطورة ما يقوم به وإلقائهم في السجون حيث أصبحت أماكن الحجز والسجون أشبه بمراكز التطعيم يخرج منه الفرد وكأنه تحصن فلا تجدي معه أي محاولات للإصلاح، فقد أصبح معتادًا عليها، وعلينا أن ندرك أن جزءًا أساسيًا من المواجهة الأمنية يأتي

في التوعية داخل السجون من خلال علماء وشيوخ يقيمون الحوارات مع الشباب ويستمعون لهم ولآرائهم وأفكارهم ومشاكلهم وبالتعرف عليها لإيجاد آليات لحلها، مشاكل قد تبدو أنها عصيبة وهي سهلة ويسيرة ويمكن حلها إذا توحدت الإرادة وخلصت النوايا.

الأمن كما أن مهمته متابعة الخطرين والإرهابيين مهمته أيضًا حماية الضالين التائهين غير المدركين الطريق الخطأ الذى دخلوا فيه، أحيانا يسقط البعض في مستنقع دون أن يدري، ينجرف لتيار يعتقد أنه صحيح وللأسف يدفعه إلى دوامات يغرق فيها ولا ينجو منها، وعلى رجال الأمن أن يدركوا أنهم قبل أن يكونوا حراسا للوطن فهم أيضا شاطئ للأمان الذى يجب أن يجلس أمامه كل مواطن فيجد الحماية والوقاية من الأخطار.

على الأمن أن يفهم أن جزءًا أساسيًا من المواجهة في التوعية وإيجاد آلية لإنقاذ الآلاف من الشباب الذين دخلوا لمستنقع التطرف والإرهاب دون وعي أنهم أصبحوا خارجين عن القانون وأعداء للوطن وهم يعتقدون أنهم يفعلون كل ما يفعلونه لنصرة الدين والدفاع عن الإسلام.

الأمن ربما يكون آخر محطات المواجهة لكنه أهمها وأخطرها، فهو القادر على فعل الكثير لشباب ضل الطريق وفقد البوصلة والتوجه من خلال إعادة تقويم صحيح، ربما يستخدم الأب الشدة أحيانا مع الأبناء ويفعل ذلك ليس بطشا وإنما حبًا وخوفا عليهم

ورغبة أن يكونوا في أفضل صورة، وهكذا الأمن دوره التصحيح والقسوة أحيانا لصالح أبناء الوطن لإعادتهم إلى حضن أم تنتظر منهم الكثير في العمل والعطاء والبذل والتضحية وليس في القتل والإرهاب والتفجير والقضاء على الأبرياء.

أسلحة المواجهة متعددة ولكنها ليست سهلة وطريقها غير ممهد ولا مفروش بالورود، ولكي ننجح علينا أن نبدأ بكل الأسلحة في وقت واحد حتى نستطيع أن نقول إننا نجحنا في التخلص من الإرهاب والإرهابيين واقتعلنا هذه الجذور والتي أرى أنها لا تزال ممتدة بعمق لأننا لم نستخدم أسلحة المواجهة حتى الآن.

الفصل السادس

الفن

هل يلعب الفن دورًا في نمو الإرهاب وانتشار وتكوين آراء الإرهابيين؟ سؤال طرحه البعض وإجابته نعم، فإذا تحدثنا عن الفن فإنه للوهلة الأولى أى متابع سيقول وما علاقة الفن بالإرهاب؟ فهذا أمر بعيد عنه وربما غير مؤثر فيه، هكذا رؤية العامة والبسطاء دون أن ندري أن الفن والإعلام أصبحا يحركان مجريات الأمور في العالم كله ويشكلان اعتقاد الكثيرين ورؤية الآخرين.

ولعل الصورة التي رسمها الغرب لنا في أفلامهم بأن مصر ما هى إلا مجتمع بدائى صحراوي يضم مجموعة من الأعراب يركبون الجمال، يظل إلى حد كبير محفورًا في ذهن العديد من الشعوب الغربية التي تعتقد ذلك وتصور الوضع عندنا على أنه مجتمع متخلف، بينما الصورة تتغير على الفور بمجرد نزول السائح سواء إلى القاهرة أو الإسكندرية، ومن خلال الفنادق الفخمة والعمارات الضخمة والسيارات الفارهة الحديثة والطرق والكباري، وهكذا يجد السائح الصورة الحقيقية عكس ما وصل إليه في أفلامه وإعلامه، مما يشير أن الفن والإعلام لهما دور مؤثر وخطير، لكن

إذا كان الأمر كذلك بالنسبة للخارج فما هو أثر الفن بالداخل؟ وكيف لعب بعقول العامة والبسطاء؟ وبنظرة سريعة سنجد أن الفن منذ نهاية السبعينات وحتى الآن يلعب للأسف دورًا سلبيًا في نشر ثقافات غريبة علينا، تركنا عاداتنا الطيبة وبدأنا في نشر أوضاع شاذة على أنها حقائق ووقائع أساسية، انظر إلى أفلامنا ومسلسلاتنا في السنوات الأخيرة كلها تشير إلى أن مصر مجتمع فاسد، رجال أعمال لصوص، ضباط مرتشون، وتلميحات سيئة لمهن لها قدسيتها نهيل عليها التراب، أمر في منتهى القسوة والظلم، لم يعرض الفن صورة الضابط المطحون الذى يمارس عمله بشرف وأمانة مثلما قدمه الفنان عزت العلايلي في فيلم أهل القمة، وهو الضابط الذى لا يعرف كيف يزوج بنت شقيقته لأنه رجل شريف عفيف يرفض الإغراءات ويتمسك بالمبادئ والقيم، لم نجد نماذجًا لرجال أعمال شرفاء يقيمون الجمعيات الخيرية وينفقون على الغلابة والمساكين وهى نماذج موجودة بالعشرات والمئات وأستطيع أن أذكر أسماء لا هم لها إلا فعل الخير، وهناك العديد من المدارس والمستشفيات والمراكز الخيرية التي يمكن أن نعرف منها ماذا قدم هؤلاء، هذه النماذج لا تقدم على الشاشة بل إن النماذج التي أصبحت تطرب المشاهد والمتابع نموذج (الأسطورة) البلطجي تاجر السلاح والآثار، القاتل الذي أصبح ملياردیرًا عندما مارس كل أنواع الفساد ودخل السجن عندما كان

شريفا، أي ابتذال أكثر من ذلك، خلط الأوراق وقلب الحقائق، اللص أصبح يمثل صفوة المجتمع ويلقى الاهتمام وتفتح له الأبواب ويتسابق الجميع إليه ويسعى الكل لخدمته.

غرس قيم ومبادئ لا تشجع على الإرهاب فحسب بل تجعل الشباب في حالة ثورة نفسية عارمة خاصة البسطاء منهم، وبدلاً من أن يعرض الفن صورًا لكفاحهم أو جهد أب في تربية أولاده والوصول بهم للقمة يعرض إسفافًا وصورًا تضع الأخلاق والمبادئ في مؤخرة الصفوف.

فلنترك هذه الصورة من الفن الرديء ونذهب لصورة أخرى ظل الفن يعرضها بشكل سخيف وهو الرجل الصعيدي إما الساذج الذي يتم الضحك عليه أو القاتل حيث لا هدف لديه سوى الثأر، وأصبح عالم الصعيد منقسمًا إلى فئتين إذا عرض مسلسل أو فيلم حيث الصعايدة البلهاء أو القتلة المأجورين بينما الحقيقة عكس ذلك تمامًا، محاولات تشويه لصورة أبناء من الوطن يمثلون قمة الأخلاق والشهامة، يقومون بأدوار غاية في البطولة، والحق أن المسلسل الوحيد الذى أنصف أبناء الصعيد هو المسلسل الرائع الفرار من الحب للنجم رياض الخولي والكاتب الراحل محمد صفاء عامر عندما عرض نموذجًا حقيقيًا لابن الصعيد في نزاع على أرض مع دكتورة يضيع عقد ملكيتها للأرض بسرقته ويتاح له فرصة الحصول على الأرض لكنه يرفض ويقوم بالبحث عن العقد حتى

يعثر على السارق ويعيده لها في مشهد أكثر من رائع يؤكد قيم وأخلاق أبناء الصعيد، بل إن المسلسل أظهر الرجل على درجة كبيرة من الرقي والثقافة والأخلاق لدرجة أن الدكتورة أصبحت مبهورة به، مسلسل يعرض صورة أبناء الصعيد عن حق، أخلاقهم وقيمهم ومبادئهم، صورة نموذجية كان ينبغي أن تعرض لكي نعرف الصعيد وأبناءه وأن هؤلاء جزء من وطن مليء بالقيم والأخلاق وليس القتل والثأر والنكت السخيفة عليه. وللأسف بدلا من أن تستمر عدوى المسلسل الرائع ونبدأ في تغيير الصورة السلبية من خلال مسلسلات جادة تقدم نماذج أخرى من أبناء الصعيد بمروءتهم وشهامتهم عادت الصورة السيئة لتعرض أبناء الصعيد وكأنهم القتلة وتجار الآثار والمهربون وكل الموبقات، أين الفن من عرض رؤية لتنمية الصعيد وتطوير مدنه؟ لنشر قيم أبنائه، أين الفن من مشاكل أبناء جنوب الوادى وكيفية حلها؟ للأسف لعب الفن دورًا هابطًا بأفلامه في ضرب مدن الصعيد لكى يجعلها وكرًا من أوكار الإرهاب.

فلنترك الصعيد ونذهب لصورة أخرى صنعها الفن عن الشيوخ، حيث رسم لهم صورة إما بالطيبة الزائدة التي تصل لدرجة السذاجة أو بنماذج غير مؤثرة في الأفلام ولم يحاول الفن إلقاء الضوء على علمائنا الأجلاء ودورهم وكيف أن بعضهم تصدى

للكثير من القضايا وحل العديد من المشاكل وأنهى الكثير من الأزمات، عملية تشويه تمت لنموذج الشيخ وإمام المسجد.

نفس الأمر فعله الفن مع المدرس فهو نموذج يلعب دورًا مؤثرًا في المجتمع، شوهت صورته ودمرت تدميرا فلم يعد للمدرس ذكر، ولعل مسرحية مدرسة المشاغبين كانت بداية لإفساد صورة المدرس سواء بإدراك أو بغير إدراك، وهو الذى كان له أعظم التبجيل في الماضي.

لكن هل يعني ذلك أن كل ما يعرضه الفن فاسدًا وعلينا أن نغلق السينما ونلغى المسلسلات؟ على العكس فإنني أرى أنه وسط الظلام يظهر بريق من النور، وهناك مسلسلات نموذجية إذا استمررنا في نهجها وأدائها ستلعب دورًا مهمًا في تغيير وجه المجتمع مثل المسلسل الرائع قصة حب الذى قام ببطولته الفنان السوري جمال سليمان الذى قدم ناظر المدرسة المحترم والذى قام بتربية أخواته أحسن تربية وتدرج في عمله ليصبح ناظرًا لمدرسته يواجه التطرف والإرهاب ويصحح المفاهيم ويعيد أحد الطلاب لمساره الصحيح، مسلسل رائع أعطى نموذجًا لرجل العلم والأهم أن المسلسل تطرق إلى أبعاد أخرى منها كيف يتم خداع الشباب وتجنيدهم في الجماعات الإرهابية، وعرض أيضا دور أجهزة الأمن من خلال شقيق الناظر وكيف تعاملت هذه الأجهزة بموضوعية

ووطنية مع الأمور، مسلسل محترم ينبغي أن يعرض في أوقات كثيرة لكي تتعلم منه أجيال من الشباب الكثير وتكتشف منه الحقائق.

الفن دوره مؤثر وقد لعب للأسف دورًا سلبيًا للغاية في تدمير سلوك الشباب في أجيال متعاقبة وأظهر المجتمع على أنه فاسد ومن أراد أن يعلو فيه إما بالسرقة أو النصب أو الاحتيال، لم يعمق قيم الجهد والعطاء أو الكفاح، لم يعرض نماذج الشرفاء والمخلصين، صورة جعلت المجتمع في القاع ودفعت الشباب دفعًا إلى التطرف والإرهاب، ولمَ لا والمجتمع فاسد؟ نجومه لصوص وأبناؤه قتلة ورجال من الضباط والمدرسين والمحامين منحرفون، هكذا صورنا مجتمعنا المكافح الذى قام على الحب والإخاء وتجاوز صعوبات وعقبات عديدة بأنه مجتمع فاشل ويجب تغييره بالقوة.

رؤية فنية أبدعت في خلق أجواء الإرهاب، أين الفن من نموذج رأفت الهجان الذى كانت الشوارع خاوية في وقت عرض هذا المسلسل؟ ألم يفكر أحد في عمل مسلسل أو فيلم عن طلعت حرب واحد من عظماء مصر الذين ضربوا أروع مثل في الكفاح والجهد والعطاء والبناء في مختلف الميادين ومنها الفن.

للأسف الشديد لقد تم استخدام الفن كأحد معاول هدم للدولة المصرية وأيضًا في الترويج لفكر الإرهابيين والمتطرفين بعد أن سجل صورة قاتمة عن مجتمع هو أبعد ما يكون عن ذلك، وصنع أفلام مقاولات وأغاني هابطة ودعايات رخيصة تاركًا نماذج

الكفاح والعمل الجاد، الفن الحقيقي والراقي هو أحد أسلحة المواجهة، ولا أظن أن هناك فنانًا حقيقيًا ضبط متلبسًا بالإرهاب أو انضم لتنظيم أو له أفكار متطرفة.

الارتقاء بالفن والعودة لجذوره الجميلة هى البداية الحقيقة لكى يبتعد الشباب عن أجواء الإرهاب، وذلك برسم صورة جادة عن مجتمعنا، بعرض نماذجنا الحقيقية في محامٍ شريف يدافع عن الأبرياء ودكتور محترم يعالج المرضى ولا ينتظر مقابل، ضابط مهمته حماية الضعفاء، مدرس معلم للأجيال عن حق، أم تكافح من أجل أبنائها تحافظ عليهم وتصونهم، أب يبذل أقصى ما لديه لإسعاد أسرته، صعيد يضم رجال مصر الأوفياء، على الفن أن يقدم صورة كاملة عن مصر الحقيقية التي أضعناها بخيال مريض وصورة مشوهة لمستنقع هابط والادعاء أنه يعبر عن مصر.

الفصل السابع

الرياضة

عندما فكرت الدولة في إنشاء مراكز الشباب وبناء الأندية كان لها أهداف محددة منها أن يجد الشباب مكانًا لتفريغ الطاقات واكتشاف المواهب وممارسة الرياضة والبعد عن الرذيلة، إنه فكر دولة تريد حماية شبابها والانطلاق بهم نحو آفاق المستقبل، ولذلك كانت مراكز الشباب محور اهتمام من جانب الدولة فكانت تهتم بها وتركز عليها من أجل بناء جيل قادر على تحمل المسئوليات، وظلت مراكز الشباب تحظى بالرعاية فترات طويلة وحتى الآن، لكن الواقع الأليم جعل المراكز تتحول تدريجيا نحو أهداف أخرى لتخرج عن أهدافها الحقيقية حيث استخدمها البعض في مجال السياسة كمركز وقاعدة له لجذب أصوات الناخبين، وأصبح كل عضو بمجلس الشعب بمجرد نجاحه يسعى ليصبح رئيسًا لمركز شباب أو يقوم هو بتعيين أعضاء ورؤساء مراكز الشباب التابعين لدائرته لتكون قاعدة له يتحرك من خلالها ويحصد أصواتها في الانتخابات، ثم زاد الأمر سوءًا باستيلاء المتطرفين في بعض الأماكن على مراكز الشباب لتصبح أوكارًا لهم، وكذلك المنحرفون لتتحول مراكز الشباب إما إلى أوكار للمتطرفين أو المنحرفين، والمضحك أن كليهما

تدعمه الدولة وتمنحه إعانات سنوية، وهكذا لم يجد الشباب مكانا لتفريغ الطاقات، وإذا فكروا في الأندية فإن عضويتها أصبحت فوق طاقة الأسر المتوسطة والبسيطة، فجميعها بأرقام خيالية فلكية، بينما لو وضعنا خطة ومنهجًا من خلال وزارة الشباب والرياضة لكل مركز يتلاءم مع إمكانياته وظروفه والبيئة المحيطة به لحققنا الكثير في مجال الشباب، لأنه بالتأكيد مركز شباب كرموز مثلا يختلف عن مركز شباب سموحة بالإسكندرية، أو مركز شباب إمبابة عن مركز شباب الجزيرة، حيث اهتمامات الشباب مختلفة، وبالطبع أصبح علينا عبء يجب مواجهته والاعتراف به، إننا تركنا مراكز الشباب في أيادى البعض سواء من الفاسدين أو المتطرفين أو تركنا الأمر لمجموعة من الهواة دون أن نفكر أن نجعل من مراكز الشباب منظومة مكتملة بمجالس إدارات عن حق تضم أصحاب الكفاءات وباختيارات تصل لأهداف محددة لصالح الشباب بعيدًا عن صراع الانتخابات والتربيطات التي دمرت الأندية ومراكز الشباب وخلقت الشللية وأضاعت فرص خلق جيل من الموهوبين وبناء قاعدة شبابية قوية هي الأساس في مختلف المجالات.

ففي داخل كل مركز أصبح هناك مجموعة تديره لمصالحها وأهدافها تاركين الشباب فريسة لمن يعبث بهم بعد أن غابت

القدوة والملجأ الحقيقي لهم سواء لممارسة الرياضة أو الأنشطة المختلفة.

بينما يفترض أن مراكز الشباب هي قاعدة لتعليم الرسم والموسيقى والفن والقراءة وعقد الندوات الثقافية وتحفيظ القرآن ولعب تنس الطاولة وكافة الألعاب الفردية والجماعية، وكل ذلك يتم بشكل مدروس ومن خلال متخصصين لهم هدف واحد وهو بناء جيل من الشباب.

وزاد الأمر سوءًا بأننا حولنا أنديتنا إلى أندية كرة وزرعنا الانحراف بداخلها وليس الاحتراف، فجعلنا المادة أساس كل شيء وأصبح لدينا فرق السماسرة من الإداريين والمدربين والإعلاميين والمسئولين، كلهم يديرون منظومة فاشلة تفقد الشباب الثقة في المستقبل والأمل في حياة كريمة بعد أن وجدوا الملايين تذهب لأقدام دوري فاشل ومجموعة من اللاعبين والمدربين والسماسرة دون حسيب أو رقيب، وفي ظل دولة نامية وبطالة سدت الأبواب أمام كل شاب يحلم بمستقبل آمن.

بينما لو فكرنا في استغلال منظومة الرياضة ووفرنا الملايين المهدرة لخلقنا جيلاً من الشباب الواعد، المثقف المتعلم، الدارس الفاهم، وعلى دراية بكل شيء سواء في الفنون أو الثقافة وأيضًا الرياضة.

منظومة الرياضة والشباب للأسف إحدى أدوات مواجهة الإرهاب الذى يستغل طاقات الشباب المهدرة ليستفيد منها تحت زعم أنه يؤهلهم لكى يكونوا نواة للوطن، ويستدل على ذلك بعرض نماذج من لاعبين يحصلون على ملايين بينما هم لا يجدون الملاليم، فكر ينتشر في غيب وغفلة من القائمين على مراكز يفترض أنها تحمي هؤلاء الشباب وتبني أجيالاً وترعى منظومة هى التي ستخرج لنا قاعدة المستقبل منهم، لم نفكر كيف لم نستفد من كم المراكز في إخراج الموهوبين والمثقفين وتقديمهم في أفضل صورة كنماذج للمجتمع.

مراكز الشباب ممكن أن تتحول إلى مراكز إشعاع لو أحسن المسئولون ربطها بالمسجد والمدرسة وأصبح هناك متابعة حقيقية لأبناء كل حي من خلال مدرسة تعلم ومسجد يغرس القيم والمبادئ والتعاليم الدينية ومركز شباب يرعى الموهوبين ويؤهلهم وذلك كله من خلال خطط طموحة وأفكار جريئة نضع فيها رؤية علمية عصرية لصالح جيل الشباب.

للأسف الشديد إننا تركنا دور مراكز الشاب الحقيقي في أيادٍ لا تدرك أهميتها فوضعنا لوائح تخلق أجواء من الصراعات وتسيطر عليها رغبات الاستحواذ والسيطرة على المراكز ليس لهدف إلا جعلها مراكز انتخابية أو قاعدة نفوذ، والآن على وزارة الشباب

أن تتحرك لاستعادة دور غائب وفكر ضائع وأسلوب عقيم سيطر علينا.

مجالس إدارات مراكز الشباب في أمس الحاجة إلى تشكيلها من خبراء متخصصين ورجال أعمال حقيقيين وأيادي أناس جادين كلهم يعملون لصالح منظومة الشباب، فمركز الشباب الموجود في حي شعبي ربما يعلم الشباب حرفا فيرفع من شأنهم ويبعدهم عن خطر الانحراف، ومركز الشباب الموجود في حي راقٍ قد ينمي موهوبًا في الغناء أو التمثيل والرسم، هذا الدور هو الأساس.

فى الأندية يتسابق الجميع على أن يلعب أبناؤهم كرة القدم ظنا أنهم قد يصبحون مثل النجم العالمي محمد صلاح، وهذا حقهم وهو أيضًا طموح مشروع، لكن أليس من حق الأندية أن تغرس في نفوس أبنائها أن هناك أبطالاً آخرين ممكن أن يكونوا مثلهم؟ مثل البطل العالمي الأسطورة محمد رشوان الذى نال تقدير العالم بأخلاقه ومبادئه عندما رفض اللعب على قدم منافسه المصاب فنال احترام العالم كله أكثر من فوزه بالميدالية الفضية، مفهوم الرياضة يجب أن يتغير، فالرياضة قبل المنافسة هي الأخلاق والقيم والمبادئ، هي روح التعاون التي افتقدها جيل بأكمله، المحبة بين أفراد المجتمع والأسرة الواحدة، الرياضة لا تعنى التناحر والتعصب والذي انتقل من المدرجات إلى ساحات

أخرى أصبحت تسودها روح همجية في التعصب للرأى وصل لحد القتل والإرهاب.

مناخ التعصب الذى ساد الرياضة وانتشر في ملاعبنا وتحول إلى صراع بمنازلنا يجب أن يزول من خلال أنديتنا وبأداء راقٍ في مراكز الشباب، عندما يتعلم أولادنا أن الرياضة هي حب الآخرين والتنافس الشريف معهم، وأن المكسب والخسارة أمر طبيعي وأننا في النهاية أمة واحدة وشعب واحد وهدف واحد يجمعنا وهو انتزاع روح الكراهية والعدوانية والتعصب التي زرعها الإرهاب، فلنبدأ بتصحيح مفاهيم الرياضة والعودة لجذورها الصحيحة عندما كان يجلس الجميع عقب المباريات في كافة اللعبات سويًا في جلسات الود والحب التي تجعلنا في النهاية نقول إن الإرهاب من المستحيل أن يدخل بيوتنا فإدركنا المعاني الصحيحة للرياضة والتنافس فيها يجعل التعصب الأعمى أبعد ما يكون عنا، وأؤكد مرة ثانية أن ظاهرة التعصب انعكاس للتطرف الذى يخلق مناخًا فاسدًا حتى في تعاملاتنا وحواراتنا وأفكارنا وأسلوب أدائنا في كل شيء.

الفصل الثامن

التنظيمات السياسية

لدينا مشكلة صعبة في مصر اسمها التنظيمات السياسية، فنحن نملك عشرات بل مئات الأحزاب اسمًا وليس حتى شكلا أو مضمونا، أحزاب ورقية هامشية لا عائد منها وإذا دخلها الشباب يخرج منها وقد أقسم أنه لا فائدة من أى شيء، حيث يتفنن مسئولوها وقياداتها في تطفيش الشباب، فلم نسمع عن حزب أجرى حوارًا معهم أو أقام لهم معسكرات أو عقد لهم الندوات والمحاضرات، ربما كان يتم ذلك في الماضي في أحزاب التجمع والعمل الاشتراكي والوفد بالإضافة للحزب الوطني، فخرجت العديد من الكوادر الجيدة في أوائل الثمانينات، لكن حاليًا الكل تسابق على إبعاد الشباب وإقصائهم ومحوهم فلم يعد لديهم بديل سوى خوض تجاربهم بأنفسهم، فالشاب يقع في مشكلة مقتبل العمر اجتماعية أو عاطفية أومادية أو أي شيء ولا يجد أيادي تمد إليه أو نموذجًا يقتدي به، الكل يتهرب منه ويتركه فريسة للظروف والزمن بينما لو كانت هناك تنظيمات ورجال مسئولون لوجدوا أن هناك الآلاف من الشباب الذين يحتاجون إلى الرؤية والنصيحة، يريد الاستماع لتجارب الآخرين، الوطنية ليست في دخول أحزاب

والمشاركة في الانتخابات والسعى للبرلمان، وإنما خلق أجيال جادة مخلصة تنتمي للوطن أهم بكثير من مقاعد البرلمان، لذلك هناك فجوة دائما تجدها داخل الأحزاب وهي غياب الشباب وعدم وجود كوادر بينهم لأنهم شعروا أن الكل تخلى عنهم.

مصر مشكلتها الأساسية غياب التنظيمات السياسية التي تستطيع احتواء أجيال من الشباب تبحث في مشاكلهم وتحل أزماتهم وتمهد لهم الطريق لإزالة أي عقبات أمامهم، هؤلاء الشباب كفروا بالعمل السياسي والسياسيين لأنهم لم يجدوا أحلامهم وآمالهم وطموحاتهم في وجدان هؤلاء بل وجدوا شعارات وخطب رنانة وكلمات معسولة.

وربما يتساءل البعض وماذا وجد هؤلاء من بضاعة عند المتطرفين؟ أقول وجدوا عندهم بضاعة رائجة في فكر ضال يمني هؤلاء الشباب بدنيا أخرى مختلفة، يسحبهم من واقعهم الأليم إلى آفاق الغيب، يبشرهم بأن القادم أفضل والأيام الحلوة قادمة، ثم يعد هؤلاء بالشهادة في سبيل الله، يسحب هؤلاء الشباب المساكين من واقع صعب إلى عالم افتراضى يرسمه لهم بعد أن ضلوا الطريق فدخلوا شارع الضباب ولا يعرفون نهاية سوى التي رسمها لهم أقطاب الإرهاب من أفكار خادعة وآراء مضللة اعتقادا أنه الطريق الذى سيصل بهم في النهاية إلى الغاية المنشودة.

وللأسف وجدنا عند تولى الرئيس السابق مرسى الحكم مهندسين، محامين، مدرسين، بل لاعبي كرة قدم وفنانين كلهم يسيرون في شارع الضباب، وللأسف أيضًا بعضهم موجود حتى الآن ولم نحاول حتى تعديل أفكاره نظرًا لغياب التنظيمات السياسية على الساحة المصرية.

لقد حان الوقت أن نفكر بجدية في وجود تنظيمات سياسية جادة يتولى أمرها رجال جادون حقيقيون يستطيعون التعامل مع الشباب ومواجهة الأفكار الهدامة وشرح رؤى المستقبل لهم، ولقد استمعت منذ فترة ليست ببعيدة لمجموعة من الشباب وأذهلني حالة اليأس والإحباط التي يعيش فيها هؤلاء، كيف وصلوا لهذه المرحلة ولماذا تركناهم هكذا، وللحق إن النقاش معهم أثمر والحوار آتى نتائج إيجابية، شعور رائع أن تجد استجابة مريض لعلاج، هؤلاء كل ما يحتاجونه أياد تمتد لهم، فكر يشرح لهم آفاق المستقبل، لقد وجدنا البعض يرفع شعارات يستغل بها الدين لأغراض سياسية منها الإسلام دين ودولة والإسلام هو الحل، شعارات كلها جذابة تلعب على عقول البسطاء والعامة والغلابة، وهذه الشعارات وجدت هوى في النفوس والبعض ذهب إلى دعم هؤلاء أصحاب الشعارات من منطلق أنهم (بتوع ربنا)، فراحوا بهذه الشعارات التي رفعها أصحابها للضحك على أبناء الشعب الكادح، وبمجرد وصولهم للحكم اكتشف الجميع زيف ادعاءاتهم وشعاراتهم

وأنهم لا يملكون أي حلول، فأفكارهم بالية وآراؤهم سطحية وليس لديهم أي حلول عملية لمشاكلنا العصرية، منتهى السذاجة من الشباب ومن بعض أبناء الشعب، لكنهم مظلومون لأنهم لم يجدوا تنظيمًا سياسيًا قويًا يرد بأن الإسلام خارج إطار المتاجرة واللعب على أوتار وقلوب الناس، الإسلام الحقيقي في معاملات الناس وحبهم وتجمعهم، في زرع القيم والمبادئ وكلها أصبحت غائبة بعد أن استبدلنا بها الشعارات وجعلنا بديلا لنا المزايدات باسم الدين دون أن نجد تنظيمًا واحدًا يرد على أصحاب هذه الشعارات، والأخطر أن هناك من تسابق للتقرب من هؤلاء.

نحن في حاجة إلى تنظيم سياسى قوى يمحو آثار العدوان، عدوان هؤلاء أصحاب الأفكار الهدامة من مستغلي الدين ومروجي الشعارات للاستيلاء على الوطن، أين مفكرو مصر وسياسيوها وأدباؤها وعلماؤها؟ فالتاريخ يؤكد أن وجود تنظيم سياسي قوي كان سيقضي على هؤلاء باحتضانه للشباب وحل مشاكل المواطنين والتفاعل معهم، وأستطيع أن أقول إنه في غياب التنظيم السياسي أصبحت هناك مئات المشاكل التافهة التي تؤرق الناس وتجهدهم وتمثل عائقًا لهم لا تجد حلاً مثل مشكلة نقل طلاب المدارس أو الجامعات من مدرسة لمدرسة أو من جامعة إلى أخرى أو علاج مواطن أو إيجاد وظيفة لشاب، كلها مشاكل بسيطة لو أوجدنا لها حلولاً بسهولة ويسر لأنهينا الكثير من المشاكل والأزمات وما خلقنا

أجواء الإحباط والشعور باليأس والميل لهؤلاء مروجي الشائعات، هذا دور التنظيمات السياسية نفذ من قبل ووجد أصداء طيبة وحل أوضاعًا كثيرة، أما إغلاق الأبواب أمام الشباب وسد منافذ الأمل وعدم إيجاد حلول لمشاكل تبدو عويصة وهى سهلة ويسيرة فهذا يفتح كل الأبواب لدخول أبواق التطرف والإرهاب ويسمح لهم بالتواجد بيننا والتعايش وسطنا في ظل غياب دور أساسي لتنظيمات سياسية دورها المواجهة والتصدي وحماية وطن من مخاطر هؤلاء، وليس دورها الجلوس في المؤتمرات الشكلية والحضور في الاجتماعات الوهمية والسعى لدخول برلمان لن يكون لهم فيه دور حقيقى إذا لم يواجهوا التحديات الحقيقية للوطن بجدية.

أخيرًا وقد يردد البعض هل المطلوب إعادة تجربة حزب وطنى آخر من جديد؟ أقول بمنتهى الوضوح والتجرد نحن نطالب بتنظيم سياسي يواجه التحديات ويرد على الشعارات ويفند الادعاءات ويتصدى للمزايدات، دون ذلك نحن في خطر فهذه الشائعات التي تنتشر في ربوع الوطن أحد أسبابها أنه لم يعد هناك تنظيم سياسي برجاله وقيادته يستطيعون مواجهة حرب الشائعات.

وأعود وأكرر إن فشل عملية لمريض لا يعنى عدم تكرارها، فالنجاح والفشل وارد، لكن أن نظل صامتين، ساكنين، خاضعين لفكرة أن عودة تنظيم سياسى يعنى تكرارًا للاتحاد الاشتراكى أو

الحزب الوطني، هذا وهم وإضاعة للوقت وإتاحة الفرصة للتنظيمات الإرهابية والمتطرفة في إعادة تكوين دورها وتجديد كوادرها في ظل غياب دور مهم لتنظيم سياسى حقيقى للدولة.

لذلك أقول إن جزءًا أساسيًا للتصدي للإرهاب سيكون في وجود تنظيم سياسي لديه القدرة على المواجهة والمصارحة في ظل وجود تيارات تواجهنا بالعنف وتثير مشاعرنا بالشعارات وتهاجمنا بالشائعات.

الفصل التاسع

التيار الديني المستنير

يظل السؤال القائم هل كل من اعتنق فكرًا دينيًا أو سلفيًا أو إخوانيًا إرهابي يجب القضاء عليه والتخلص منه ووضعه في قفص الاتهام؟ أقول بكل صراحة لا؛ لأن هذا فكر مغلوط، لأننا في البداية لو استخدمنا أسلحة المواجهة الحقيقية في الثقافة والفن والرياضة والإعلام الإيجابى والتعليم فسوف يكون هناك صعوبة بالغة في اعتناق مجموعات من الشباب للأفكار المتطرفة، ربما يحب البعض أن يطلق على نفسه أنه سلفي بمعنى أنه يقتدي بالسلف الصالح ويفعل أفعاله في الخير والعبادات، لكنه لا ينهج نهج السلفية الجهادية مثلا، وهناك فارق كبير بين معتقدات الجهاد والتكفير وبين فكر المتدين الذى يغالي أحيانا في دينه سواء في كثرة العبادات أو استخدام بعض المظاهر الدينية الأخرى كإطلاق اللحية ولبس الجلباب إلى آخر هذه الأمور التي لا تعبر عن جوهر الدين وصحيحه.

لذلك أقول إن علينا واجب أساسي في ضرورة إيجاد تيار ديني مستنير من خلال علماء وأدباء ومفكرين يعرضون رؤية الدين الصحيح بمفهوم يتسق مع روح العصر، هذا التيار الذي اختفى للأسف ولم يعد موجودًا ظهر بدلاً منه طبقة من الجهلاء وآخرين

استغلوا الدين لأغراضهم المختلفة، فوجدنا أمامنا شيوخ البيزنس وبعضًا ممن أطلقوا على أنفسهم الدعاة الجدد وجميعهم لا صلة لهم بالدين، بعضهم تزوج من الفنانات وآخرون لهم صولات وجولات مع رجال الأعمال، وهكذا انتهى الأمر بأن أصبح الدين مشاعًا حسب الهوى والرؤى، بل المدهش أن أصبح لهؤلاء رواد ومريدون وأتباع اعتقادًا أنهم يمثلون الدين الصحيح وأفكاره بينما هى أفكار من زرعوها في عقولهم، بضاعة فاسدة روج لها بنجاح بينما البضاعة الجيدة الحقيقية ملقاة في المخازن تجلس بعيدا عن الشاشات وعقول الناس التي هي في أمس الحاجة إليها، وحان الوقت لإظهار هذه البضاعة كي يكون لها دور فعال، علينا أن نظهر التيار الديني المستنير من خلال علماء الأزهر الأجلاء والأدباء المحترمين ورجال جادين يضعون منظومة لتصحيح المفاهيم وإبعاد الأفكار المغلوطة عن شباب ضل الطريق.

ليس من المنطقي أن نعاقب شابًا أقدم على اعتناق فكر مغلوط بزعم أنه أصبح إرهابيًا، بينما الحقيقة أننا جعلناه إرهابيًا بتركه فريسة لهؤلاء الذين زرعوا الشك والفتن والأفكار المغلوطة في العقول.

نحن مع تدين الشباب وتصوفه ودخوله في أجواء السلف الصالح ولكن ضد تطرفه واعتناقه الأفكار الإرهابية، وأستطيع أن أزعم أنني أملك صداقات عديدة مع أفراد متدينين يقولون إنهم سلفيون لكنني لم أجدهم على الإطلاق إرهابيين، وآخرين

متصوفين، وسواء الشاب المتصوف أو السلفى أو من يجد في الدين والتقرب إلى الله متعة، هؤلاء جميعًا يجب أن يحتضنهم تيار ديني مستنير يفتح لهم الأبواب ويعرفهم من هم السلف الصالح وكيف تعاملوا وأصبحوا وطريقتهم في العمل والعبادة والتعامل مع الآخرين، تيار يوضح للمتصوف معناه وغايته بعد أن اعتقد البعض أن التصوف مجرد حلقات ذكر، مساجدنا كبيرة وعامرة لكنها خاوية من الفكر تحتاج لمنظومة تجعلها عن حق مكان تعليم ليس للدين بل للسلوك أيضا، عندما يجد الشاب نفسه أمام شيخ يعلمه كيف يتعامل داخل الأسرة يحترم الكبير ويعطف على الصغير ويحنو على والديه، مبادئ أساسية أهم من الحديث عن الحاكم الظالم والجهاد في سبيل الله ونشر فكر الإرهاب في عقولهم، نحتاج مساجد تبدأ عملية إصلاح شامل في نفوس وعقول الشباب الذى لا يريد الاستماع الآن إلا لنفسه ولا ينصت للآخرين بعد أن دخل عالم الإنترنت والفيس بوك وجلس يستمع لدعاة خارج النص ليس لهم علاقة بالدين استغلوا الفضائيات والشاشات لنشر أفكار ليس لها أى مردود إيجابى على المجتمع.

وإذا كانت جماعة الإخوان وجدت نفسها على الساحة وحدها وانضمت لها بعض التيارات السلفية المتشددة وجماعات أخرى تكفيرية ما هو دور الدولة في مواجهة ذلك؟ هل دورها اقتصر على المواجهات الأمنية؟ أقول إن ذلك أول الأخطاء التي ارتكبت لأن الشباب يجب أن يجد تيارًا دينيًا يحتضنه ويجد فيه ضالته.

نحن تركنا أجيالاً تقع فريسة لتيارات هدامة وأدعياء أفسدوا الفكر وأضاعوا شبابًا كان من بينهم أجيال ممكن أن يكون بها عالم أو مفكر أو مهندس على أعلى مستوى، لكن ضاع ذلك كله بالانضمام لجماعة إرهابية وربما بدخول السجن أيضًا، وقد يرد البعض بأن الدولة ليست مسئولة عن تصرفات كل شاب وهذا صحيح، لكن هي مسئولة أيضًا عن إيجاد مناخ صحي لعدم إتاحة الفرصة لنشر فكر التطرف والإرهاب بين الشباب.

المواجهة الأمنية مطلوبة لكن قبلها الوقاية والحماية والتصدى لحماية أجيال لا تعرف شيئًا عن صحيح الدين، كان واردًا أن ينزلق بعضنا أو نحن في مستنقع الإرهاب، ربما ساعدتنا الظروف أو البيئة أو المناخ المحيط بنا على عدم السقوط في المستنقع، لكن ما ذنب شاب أراد التدين فوجد الأيادي الخبيثة تخطفه وتدفعه إلى الهاوية، وقد تذكرت قضايا عديدة حضرتها أثناء محاكمات الشباب عندما كنت أعمل بجريدة الشعب واستمعت فيها لكثير من القصص والحكايات فوجدت أن العديد من الشباب أقحم في الأمر بغباء شديد وبشعارات براقة مثل إقامة شرع الله والدولة الإسلامية والقضاء على الحاكم الظالم والتصدى للفساد، هذه الشعارات استغلوا بها الكثير من الشباب الذى وجد نفسه بعد ذلك في قفص الاتهام لا يعرف مصيره وإلى أين سيذهب وكيف تحول إلى مصير مجهول بعد خروجه من السجن فقد وضع في قوائم المتطرفين ولم تعد هناك أبواب للرزق يمكن أن يلتحق

بها، وطريقه الوحيد هو مواصلة العمل مع هؤلاء الذين أضاعوه في البداية ومستمرين للقضاء عليه حتى النهاية، بينما نحن جميعًا نقف موقف المتفرج بدعوى أنه لا فائدة وهؤلاء إرهابيون يجب التخلص منهم، والحق أنهم أبرياء مظلومون مهزومون تركناهم يحددون أقدارهم ومسارهم من البداية، لم نرسم لهم خارطة طريق ولم نضع لهم أسسًا للسير عليها، من أراد التدين عليه أن يذهب ليختار إما الإخوان أو السلفيين الجهاديين أو التكفيريين، بينما علماؤنا الأجلاء قابعون منتظرون متفرجون نتيجة عدم الاستعانة بهم وإتاحة الفرصة لهم ليكونوا حائط صد هؤلاء الشباب المساكين.

افتحوا النوافذ للدعاة الحقيقيين، أبعدوا هؤلاء الصبية الذين ظهروا في الفضائيات يرتدون ثوب الدعاة وهم أبعد ما يكونون عن ذلك، مصر في حاجة لخطة منهجية تجعل هناك تيارًا دينيًا مستنيرًا يحتوي الشباب ويواجه الأفكار ويتصدى للإرهاب، وقتها عندما يخرج الشاب عن ذلك فلا يلوم إلا نفسه، أما أن نتركه فريسة للتجنيد والتفجير وزرع العبوات، فنحن جعلنا أنفسنا شركاء في جريمة ضياع هؤلاء الشباب الذى بات واجبًا علينا إعادتهم إلى حضن الوطن من خلال مفهوم ديني صحيح يستوعبهم بتوجيهات علمائنا الأجلاء.

خاتمة

أستطيع أن أقول إن الإرهاب أحيانا يصنع بأيدينا ومن خلالنا بتركنا الأمور تسير بشكل ارتجالي هوائي دون محاولة وضع أسس المواجهة وأساليب التصدي له، وبمعالجات خاطئة مثل ماحدث معنا في أوقات كثيرة، لذلك أقول إن دولة الإرهاب هي الدولة التي تشارك في صناعته وترويجه وتسويقه دون أن تدري ذلك، وهو مصطلح لا يقصد به الإساءة أو التشهير وإنما يعني الحذر قبل السقوط في فخ التحول لدولة إرهابية.

فدولة الإرهاب هي الدولة التي تظهر فيها مقومات الإرهاب مثل المرض بظهور حالات له وانتشاره، بينما الدولة الإرهابية هي الدولة التي تمكن منها المرض وأصبح مسيطرًا عليها وشتان بين الدولتين.

ربما تكون مصر دولة ظهرت عليها أعراض المرض بشدة لكن أبدًا لم يتمكن منها أو يتفشى فيها، بدليل أننا نجحنا عند الشعور بالخطر في مواجهته، حدث ذلك في الخمسينات والستينات والسبعينات وفي أعقاب اغتيال الرئيس السادات وحادث الأقصر، ثم استطاعت الدولة أن تعيد مكانتها من جديد بالإطاحة بحكم العمائم، لكن كل ذلك كانت أسلحة المواجهة فيه أساسًا أمنية، وهو ما أردنا لفت النظر إليه فقد حان الوقت لكي نقضي علي جذور الإرهاب ولا ندخل دائرة دول الإرهاب على الإطلاق بمواجهات

جادة تنطلق من التعليم والإعلام والفن بالاهتمام بالرياضة والشباب والثقافة ونشر الفكر الديني المستنير، أسلحة مواجهة قوية تقضي على الظواهر التي طفت على السطح وأصبحت تسود المجتمع نتيجة تراكم أخطاء متعاقبة في الأماكن والمجالات، علينا أن نستعيد دور المدرسة والمسجد معا، نهتم بالفن والثقافة، نعيد للشباب ثقافة القراءة، فلم يعد أحد يجلس حتى لقراءة صحيفة، وهو خطر شديد لأننا أصبحنا مقبلين على أجيال جاهلة في الفكر وهم الحاصلون على أعلى الشهادات، مصر نموذج يجب أن يقود العالم في كيفية ضرب الإرهاب والقضاء عليه بأسلحة سهلة في التطبيق صعبة إذا ضاعت إرادة التنفيذ، علينا أن نعرف أنه لم يعد مقبولاً أن تظل المواجهة أمنية إلى نهاية المشوار، وقد وجدنا أن القبضة الأمنية في الستينات انتهت بداية السبعينات بخروج أجيال من المتطرفين والإرهابيين ليعيدوا تنظيم صفوفهم وإخراج أجيال أشد شراسة منهم.

لذلك فإن البداية بالمواجهات الجادة الحقيقية التي تجعل فكر هؤلاء وأساليبهم لا قيمة لها أمام أجيال أخذت من نبع الفكر والمعرفة والثقافة وتعاليم الدين الصحيح ما يجعلها تكون هي نفسها حائط صد أمام الأفكار الهدامة والجماعات الإرهابية لتحافظ على دولتها حتى لا تصبح في يوم من الأيام دولة الإرهاب التي أصبح لزامًا علينا إدراك خطورتها إذا تركنا أمورنا تسير بلا مواجهات أو خطط وبرامج للحفاظ عليها.